( **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)** ) .
[ يوسف : ٤٢ ] .

---

( **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** ) أي: وقال يوسُفُ لصاحِبِه الذي تيقَّنَ أنَّه سينجو من القتلِ، ويخرُجُ مِن السِّجنِ: اذكُرني عند سيِّدِك الملِك، وأخبِرْه بأنِّي مسجونٌ بلا ذنبٍ .

- الظان : يوسف .
- **قال الشوكاني** : والمراد بالظنّ العلم ؛ لأنه قد علم من الرؤيا نجاة الشرابي وهلاك الخباز ، هكذا قال جمهور المفسرين.

وقيل : الظاهر على معناه ؛ لأن عابر الرؤيا إنما يظن ظناً ، والأوّل أولى وأنسب بحال الأنبياء.

( **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** ) أي: فأنسَى الشَّيطانُ الفَتى الذي خرجَ مِن السِّجنِ أن يَذكُرَ يوسُفَ عند المِلك، كما أوصاه بذلك .

( **فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين** ) أي: فمكث يوسُفُ في الحبسِ مَظلومًا مَنسيًّا بضعَ سنينَ .

- **قال الخازن** : وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

**مبحث :**

قوله (**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** ) تقدم :أي: فأنسَى الشَّيطانُ الفَتى الذي خرجَ مِن السِّجنِ أن يَذكُرَ يوسُفَ عند المِلك، كما أوصاه بذلك .

فالناسي : هو الساقي .

وهذا القول هو الصحيح في معنى الآية .

ممن اختار هذا القول ابن تيمية ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والقاسمي ، والسعدي .

- **قال ابن كثير** : قوله ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) يقول: اذكر قصتي عند ربك –وهو الملك –فنسى ذلك الموصَى أن يُذَكِّر مولاه بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يطلع نبي الله من السجن.

هذا هو الصواب أن الضمير في قوله ( فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ) عائد على الناجي، كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق وغير واحد. ( التفسير ) .

**وقيل** المراد : فأنسى الشيطان يوسف ذكر الله ، فلم يدْعُ الله أن يخرجه من السجن .

أي : أنسى الشيطان يوسف ذكر الله فلجأ في طلب الخلاص إلى إنسان .

وممن اختار هذا القول : ابن جرير .

- **قال الخازن** : ... والقول الثاني : وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف ، والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذاً بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.
- وقال القرطبي : قوله تعالى (**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** ) الضمير في أنساه ) فيه قولان :

أحدهما : أنه عائد إلى يوسف ، أي : أنساه الشيطان ذكر الله ، وذلك لما قال يوسف لساقي الملك ( اذكرني عند ربك ) .نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به ، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق فعوقب باللبث .

وقيل : إن الهاء تعود على الناجي ، فهو الناسي ، أي : أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه .
قال

- **قال ابن تيمية مبيناً ضعف القول الثاني :**

**قال** ..... قَالَ تَعَالَى ( فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ) .
قِيلَ أُنْسِيَ يُوسُفُ ذِكْرَ رَبِّهِ لَمَّا قَالَ ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) .
وَقِيلَ : بَلْ الشَّيْطَانُ أَنْسَى الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ذِكْرَ رَبِّهِ وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ .
فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قَالَ تَعَالَى ( فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ) .
وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إلَى الْقَرِيبِ إذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .
وَلِأَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَ رَبِّهِ ؛ بَلْ كَانَ ذَاكِرًا لِرَبِّهِ . وَقَدْ دَعَاهُمَا قَبْلَ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا إلَى الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ وَقَالَ لَهُمَا ( يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) ( مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .
وَقَالَ لَهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ ( لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ) أَيْ فِي الرُّؤْيَا ( إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ) يَعْنِي التَّأْوِيلَ ( ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ) .

**ثم قال :**

وَالَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ الْقَوْلَ قَالُوا : كَانَ الْأَوْلَى أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقُولَ اُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّك . فَلَمَّا نَسِيَ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ جُوزِيَ بِلُبْثِهِ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .
فَيُقَالُ :
لَيْسَ فِي قَوْلِهِ ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) مَا يُنَاقِضُ التَّوَكُّلَ .
بَلْ قَدْ قَالَ يُوسُفُ ( إنِ الْحُكْمُ إلَّا لِلَّهِ ) كَمَا أَنَّ قَوْلَ أَبِيهِ ( لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ) لَمْ يُنَاقِضْ تَوَكُّلَهُ ؛ بَلْ قَالَ : ( وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إنِ الْحُكْمُ إلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ) .
وأَيْضًا : فَيُوسُفُ قَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُخْلِصُ لَا يَكُونُ مُخْلِصًا مَعَ تَوَكُّلِهِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ .
فَإِنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ وَيُوسُفُ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا لَا فِي عِبَادَتِهِ وَلَا تَوَكُّلِهِ بَلْ قَدْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ فِي فِعْلِ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ ( وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) فَكَيْفَ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي أَفْعَالِ عِبَادِهِ .
وَقَوْلُهُ ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) ....لَيْسَ فِيهِ إلَّا مُجَرَّدُ إخْبَارِ الْمَلِكِ بِهِ ؛ لِيَعْلَمَ حَالَهُ لِيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ وَيُوسُفُ كَانَ مَنْ أَثْبَتِ النَّاسِ .
وَلِهَذَا بَعْدَ أَنْ طُلِبَ ( وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ) قَالَ ( ارْجِعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ) فَيُوسُفُ يَذْكُرُ رَبَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَمَا ذَكَرَهُ فِي تِلْكَ
فَلَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ لَهُ ( اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) تَرْكٌ لِوَاجِبٍ وَلَا فِعْلٌ لِمُحَرَّمٍ حَتَّى يُعَاقِبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِلُبْثِهِ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .
وَلُبْثُهُ فِي السِّجْنِ كَانَ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ فِي حَقِّهِ ؛ لِيَتِمَّ بِذَلِكَ صَبْرُهُ وَتَقْوَاهُ فَإِنَّهُ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى نَالَ مَا نَالَ .
وَلِهَذَا قَالَ ( أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) وَلَوْ لَمْ يَصْبِرْ وَيَتَّقِ بَلْ أَطَاعَهُمْ فِيمَا طَلَبُوا مِنْهُ جَزَعًا مِنْ السَّجْنِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا الصَّبْرُ وَالتَّقْوَى وَفَاتَهُ الْأَفْضَلُ بِاتِّفَاقِ النَّاس . ( مجموع الفتاوى ) .

- **وقال أبو حيان** : ... فالمعنى أن يوسف عليه السلام قال لساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك : اذكرني عند الملك أي : بعلمي ومكانتي وما أنا عليه مما آتاني الله ، أو اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق.

وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة والتعاون في تفريج كربه ، وجعله بإذن الله وتقديره سبباً للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام : ( من أنصاري إلى الله ) وكما كان الرسول يطلب من يحرسه.

والذي أختاره أن يوسف إنما قال لساقي الملك : اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله ، كما توصل إلى إيضاح الحق للساقي ورفيقه.

**وقال أبو شهبة** : ... وأغلب الظن عندي : أن هذا من الإسرائيليات ، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها ، مع أنه عليه السلام لم يقل هجراً ، ولا منكراً ، فالأخذ في أسباب النجاة العادية ، وفي أسباب إظهار البراءة والحق ، لا ينافي قط التوكل على الله تعالى ، والبلاء للأنبياء ليس عقوبة ، وإنما هو لرفع درجاتهم ، وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم ، في باب الابتلاء ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : ( أشد الناس بلاء الأنبياء ، فالأمثل ، فالأمثل ) .

**تنبيه :**

استدل بعضهم بحديث ابن عباس . قال : قال ﷺ ( لو لم يقل -يعني يوسف- الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث ، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله ) .

قال ابن كثير : وهذا الحديث ضعيف جداً .

**الفوائد :**

١- جواز الاستعانة بالمخلوق في الأمور العادية التي يقدر عليها بفعله أو قوله

**قال القاسمي** : دلت الآية على جواز الاستعانة بمن هو مظنة كشف الغمة ، ولو مشركاً .

وقد جاء ذلك في قوله تعالى ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ) .

وقوله حكاية عن عيسى ( مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه ) .

وفي الحديث ( والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ) .

٢-الأخذ بالأسباب للنجاة من البلاء .

٣-أن الشيطان لا يترك ابن آدم ، ويحرص على نسيانه الخير .

قال تعالى ( وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ

والشيطان يحاول بكل طريقة صد الإنسان عن الخير .

- **عقبات الشيطان:**

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله تعالى.

فإنه إن ظفر في هذه به بردت نار عداوته واستراح.

العقبة الثانية: عقبة البدعة.

إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله.

فإن نجا منها بنور السنة:

العقبة الثالثة: عقبة الكبائر.

فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوّف به.

فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله أو بتوبة نصوح طلبه على:

العقبة الرابعة: عقبة الصغائر.

فكان له منها بالقُفز، وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أوَما علمت بأنها تكفّر باجتناب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه.

العقبة الخامسة: عقبة المباحات التي لا حرج على فعلها.

فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، وأقل ما ينال منه: تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية.

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات.

فأمره بها وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسباً وربحاً؟ .

- فيجب الحذر من خطوات الشيطان لأنه عدو ظاهر مبين لنا.

فهو يحب أن يحزن المؤمن كما قال تعالى (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) وأحب شيء إلى الشيطان: أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه.

- وهو يخوف المؤمنين بالأعداء.

كما قال تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) أي: يخوفكم بأوليائه.

- ويخوف بالفقر.

كما قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) فيخوف المسلم من الفقر وذلك لأمور: أولاً: ليُمسك عن الصدقة فيحرمه أجرها وثوابها العظيم، ثانياً: ليصيبه بالقلق والحزن، ثالثاً: ليشك بوعد الله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، رابعاً: ليقدم على أكل الحرام خوفاً من الفقر كما قال تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين).

- ويحث على الرياء في الإنفاق والتبذير.

قال تعالى (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قريناً).

وكما قال تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً).

٤-احتياج الإنسان للوساطة في قضاء حاجته أو رفع الظلم عادة قديمة .